رسالة فى إثبات

وجود النبى فى كل مكان

صلى الله عليه وآله وسلم



للعالم العارف بالله تعالى

سيدى حسين بن محمد الشافعى

رضى الله تعالى عنه

[illegible]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى لا يخيب من قصده ، بل كل من قصده صادقا وجده .

تعالى علوا كبيراً عن أقوال من جحده.

والصلاة والسلام على أفضل نبى تقرب إليه وعبده: محمد نبى الرحمة والشفاعة الذى لا نبى بعده.

صلاة الله وسلامه عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ، وعلى ملائكة السماوات والأرضين ، وعلى جميع الآل والقرابة والصحابة والتابعين .

وبعد ..

فقد سبقت منا الكتابة مراراً فى المعنى الذى وضع له هذا التصنيف ، وتقدمت الإجابة عن الأسئلة من نوع هذا الترصيف ، وقد رفع إلينا سؤال ، هو الآن فى ذلك

المعنى : ألزم إعادة الكتابة فى التأليف (١) صورته بعد البسملة الشريفة :

« ما تقولون فى معنى قولكم تصريحاً وتلويحاً ، فى كتبكم ومجالسكم : من أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم خير البرية ، ملأ العوالم العلوية والسفلية ، فهل هو مقيم فى قبره أولا ؟؟؟

وإذا قلتم بأنه مقيم فى قبره ، فما معنى وجوده بكل حيز ووجود ؟؟؟

وما معنى : حضوره فى كل موجود ؟؟؟»

فأجبنا عن ذلك بما صورته :

« الحمد لله.

اللهم ألهمنا إلهاماً ، وهداية لإصابة الصواب.

(١) فى المخطوطة بعد كلمة : التأليف ، ما نصه : « فذلك المغزى والمغزى ، وذلك له المبنى » .

اعلم أيها الأخ الصادق، والمريد الموافق، شفاني الله وإياك من داء الغموم، وسقاني وإياك من دلاء العلوم: انه لابد من تأسيس أصل لهذا الجواب(١) وهو أن العوالم مختلفة والأكوان متباينة، فكون الإنسان ببطن أمه ليس ككونه في دار الدنيا، لأنه لا يصير حينئذ على أدنى ضيق كان معه في الرحم.

وعالم الفكر أوسع منه، بدليل ان الإنسان متى أغمض عينيه وفكر في نفسه: اتسع عليه الحال.

وعالم النوم أوسع منه، بدليل ان الروح تذهب فيه كل مذهب، وفيه تعرج من الفرش إلى العرش.

---

(١) وذلك لأن كل فن لابد له من مقدمة يتضح بها المعنى ويظهر النهج، ويستقيم فهم القارىء في ذهنه، ويعرف أسلوب الكتاب وما يقصد إليه المؤلف، فيكون كمصباح يضيء له طريقه في سراديب الأسطر وحنايا الكلمات.

وعالم البرزخ أوسع منه، لأن الروح متى تجردت عن البدن صارت إلى قريب من قوة الملك، فلا يصح أن تقاس على حال حبسها في الدنيا.

ولهذا المعنى: يصح ويتضح وينهض مقصود هذا الجواب.

وإذا قلنا: إن لها حينئذ قوة ملكية، فتحصيلها للقوة الجنية أولى بها، مع أن الجن متى استحضرهم الطالب في منزل، وكان في أقصى المشرق، وأستحضرهم آخر كذلك، وكان في أقصى المغرب، حضروا معهما جميعا.

ولا مساواة لهم بالأنبياء والأولياء في ذلك، لأن ذلك إنما كان يكون للأنبياء والأولياء: حياة وموتا: تشريفا لهم من جهة كونهم تكلموا بما ليس في مقدورهم، وتحملوا ما ليس في مطبوعهم، ليجمعوا

بين فصائل الثقلين : بخلاف الجن ، فإن ذلك لهم بالطبع[1].

وأيضا ، فتمثل الجن في المندل - إن صح - فإنما هو خيال محض ، وإلا فقد قال الله تعالى : ﴿ إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ﴾[2].

(١) أي القوة التي أودعها الله تعالى فيهم على التخفي وغيره.

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ٢٧ أي طبيعته أنه لا يرى ، ولكن إذا أحب الجن أن يظهر تشكل في صورة وظهر ، بدليل الجن الذي ظهر لسيدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وأخذ من مال الزكاة وقبض على يده ثلاث مرات في ثلاثة أيام متوالية ، وعلم أبا هريرة أن آية الكرسي تمنعه من الجن والمناعم ، وقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أما إنه صدقك وهو كذوب : تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟؟ ذاك شيطان ، راجع تفسير ابن كثير عند تفسير آية الكرسي .

وأما اجتماع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعض الأولياء بهم فمن قبيل الخصوصيات[1].

فكان ذلك المعنى للأنبياء والأولياء من باب تناهي القوة في الشرف ، وللجن من باب تناهي القوة في الشر.

وعالم الحشر والنشر أوسع من عالم البرزخ.

وعالم الجنة والنار أوسع من تلك العوالم كلها.

ولفضل الله تعالى وسعة رحمته ، وإحاطة علمه

(١) وأما اجتماع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالأولياء فقد وضع فيه السيد أبو الفضل عبد القادر بن الحسين الشهير بـ ابن مخزيل - الشاذلي ، كتابا أسماه ، الكواكب الزاهرة في اجتماع الأولياء يقظة بسيد الدنيا والآخرة - صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو كتاب قيم أوضح فيه مشروعية اجتماع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالأولياء والصالحين من أصحاب الدرجات الرفيعة - وقد قامت مكتبتنا - دار جوامع الكلم - بطبعه لأول مرة بالعالم الإسلامي عام ١٩٩٩ .

أوسع من أضعاف تلك العوالم وتلك الأكوان ، لأنها بما حوت وما وعت : جزء من تفضلاته تعالى ، ودقيقة من معلوماته عز وجل، كما أن الجنة بعض ثوابه تعالى سبحانه ، والنار بعض عقابه تبارك اسمه .

ومن تأسيس هذا الأصل : فَهْمٌ[1] أن الحياة الدنيا والبرزخ ، والبعث[2]: متحدة من جهة الروح ، مختلفة

---

(١) بفتح الفاء وسكون الهاء .

(٢) ذلك لأن الروح خلقت من قبل خلق الأرض والعالم الأرضي ، وأعدت من قبل لجسد معيّن ، ستتركه فترة معينة هي فترة البرزخ وستعود إلى جسدها مرة أخرى عند إحياء الله تعالى الجسد مرة أخرى للعرض والحساب ، وتلك هي المرحلة الأبدية التي لا فناء بعدها ، لأن الله تعالى قضى ذلك.

وقد ورد في الحديث الصحيح أنه بعد دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ـ ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيذنا ـ =

من جهة القوة ، فأدناها بطشا وإدراكا وتشكلاً ، وتصرفا وإحاطة : حياة الدنيا ، وأوسطها حياة البرزخ . فرب ميْت لما مات عاش[1].

وأعلاها : الحياة الأخروية الأبدية .

= حتى من منظرها ـ ينادي مناد بين الجنة والنار ، فيقول : « يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت » .

وقول الله تبارك وتعالى عن أهل الجنة « هم فيها خالدون » وعن أهل النار « هم فيها خالدون » قاض في ذلك .

(١) كالأنبياء والشهداء ، والعلماء ، والمؤمنين ، والصالحين ، وغيرهم . هؤلاء لما انتقلوا من الدنيا عاشوا العيشة الحقيقية : عيشة الكرامة والعز الذي لا ذل بعده . فهم « أحياء عند ربهم يرزقون » .

رأى العلماء المحققين
فى حال الإنسان بعد موته

وإذاً فقد تمهدت طريقنا : وهو أن المحققين من العلماء قاطبة ـ كما قال القرطبى وغيره ـ ذهبوا إلى أن الموت ليس بعدم محض ، بل طريق انتقال من عالم الملك إلى عالم الملكوت ، وحجاب بين أهل الدنيا وأهل البرزخ ، فيكون الميت ليس على الحالة التى كان يحس فيها وعليها ، وبها ، فى الدنيا .

هذا معنى كلامهم فى سائر الأموات .

عالم الأرواح

وقالوا : إن الأرواح كلها لطيفة ، ليست ثقيلة ولا كثيفة كالأجسام : تسرح وتمرح حيث شاء الله تعالى ، إن

كانت مأذونة وليست مسجونة[1] .

فعلى هذا تكون هذه الأمة كسائر الأمم فى ذلك المعنى

من خصائص الأمة المحمدية
تصرفات أرواحها

ولا شك أن لها اختصاصاً أيضاً بزيادة تصرفات لأرواحها ، ليس لغيرها من الأمم السابقة مشاركة معانيها فيه .

(١) إذ أن أرواح اليهود والنصارى وعبدة النار وكل مشرك مسجونة فى البرزخ ، حتى إذا كانوا يوم القيامة دخلوا السجن الأبدى الذى لا يخرجون منه أبداً ، ولا يقام لهم ميزان ، قال الله تعالى : «فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا» ، لأن الوزن للمؤمنين أما الكافرون جميعاً فمن موقف العرض إلى جهنم ، قال الله تعالى «ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون» ، وقال تعالى «فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا» .

كما خصها الله تعالى - عن سائر الأمم - بخصائص لا تكاد أن تحصى.

وإذا كان الأمر كذلك ، فلعلمائها العاملين ، وأوليائها العارفين : زيادة مزية ، ومزيد اختصاص في تلك المنقبة العلية.

ولأئمة علمائها ، كالإمام الأعظم(١) والشافعي ، والإمام مالك : من ذلك أعظم المزايا.

ويتزايد الحال بمزيد العلم والصحبة الشريفة(٢)

---

(١) إذا قيل : الإمام الأعظم ، فهو الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت.

(٢) أي أصحاب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنهم أعظم من كل من جاء بعدهم ، وهم أعظم من أصحاب كل نبي ، صلوات الله وسلامه على جميع أنبيائه وآلهم وأصحابهم ومن تبعهم ، فإنهم على طريق الله تعالى.

إلى أن ينتهي الشرف الأعلى والمجد الأسنى - كما بدأ - إلى نبي هذه الأمة : سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم نبي الشفاعة والرحمة . فإن له اختصاصا في خصوص ذلك المعنى على سائر أولي العزم من المرسلين.

الا ترى أن منصب الشفاعة له ، ليس لأحد منه شيء ، إلا أن يكون بإذنه(١).

كما انه لا يشفع إلا بإذن من ربه تعالى .

الا ترى انه لا يجوز لأحد أن يتوسل بأحد إلى الله تعالى من خلقه إلا به(٢).

هذا على قول بعضهم.

(١ ، ٢) الضمير هنا راجع إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإن الله سبحانه وتعالى أعطاه منصب الإذن بالشفاعة لمن احب صلى الله عليه وآله وسلم .

والصحيح أنه يجوز التوسل إلى الله تعالى بجميع أنبيائه وأوليائه.

ألا ترى أنه رأى موسى ـ كما سيأتي ـ ورأى الأنبياء في بعض السماوات ، ولم يرهم إلا بالمعنى الذى أراده الله تعالى له ، وأراد الله تعالى وضع هذا الكتاب لأجله.

وحينئذ فقد عرفت بهذا تمام تصرفه صلى الله عليه وآله وسلم في الكون ، وغاية سيره في الوجود للغوث والعون.

على أن جسمه الشريف الذى هو منا بأنفسنا أولى (١) هل هو مقيم في قبره أو لا ؟.

(١) لقول الله تعالى « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم » الآية ٦ السادسة من سورة الأحزاب ، وهي محكمة وليست بمنسوخة ، أي حكمها قائم إلى يوم القيامة والبعث ، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم « حياتي خير لكم تحدثون =

ففي كتاب الحافظ السيوطي المسمى بـ« تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم والملك »(١) عن أنس أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: « إن الأنبياء لا يتركون في قبورهم ».

وفيه أيضا : أخرج البيهقي عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « إن الأنبياء لا يتركون في قبورهم أربعين ليلة ولكنهم يصلون بين يدي الله تعالى حتى ينفخ في الصور »(٢).

= ويحدث لكم ، فإذا أنا مت كانت وفاتي خيراً لكم تعرض علي أعمالكم ، فإن رأيت خيراً حمدت الله ، وإن رأيت شرا استغفرت لكم » رواه ابن سعد ، وله ألفاظ أخرى ورواة آخرون.

(١) وقد قامت مكتبتنا ـ دار جوامع الكلم ـ بطبع هذا الكتاب عام ١٩٨٦ ، وعام ٢٠٠٢.

(٢) ونصها كما في الطبعة الأولى ص ٤٦ ، ٤٧ من طبعة =

وفيه أيضا : « روى الإمام سفيان الثورى فى « الجامع » . قال : قال شيخ لنا ، عن سعيد بن المسيب : قال : « ما مكث نبى فى قبره أكثر من أربعين ليلة حتى يرفع » .

قال البيهقى : « فعلى هذا يكون كسائر الأنبياء »(1) انتهى .

قلت : بل أجلّ وأخص لزيادة الرفع والرفعة فى

= « دار جوامع الكلم » ، وأخرج أبو يعلى فى مسنده والبيهقى فى كتاب « حياة الأنبياء » ، عن أنس أن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم قال : « الأنبياء فى قبورهم أحياء يصلون » ، وأخرج البيهقى عن أنس عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال « الأنبياء لا يتركون فى قبورهم بعد أربعين ليلة ولكنهم يصلون بين يدى الله تعالى حتى ينفخ فى الصور » .

(1) الضمير فى « يكون » عائد إلى حضرة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم .

المكان والمكانة . والله تبارك وتعالى أعلم .

وفى الكتاب المذكور أيضا : روى عبد الرزاق فى مصنفه عن الثورى ، عن أبى المقدام ، عن سعيد بن المسيب قال :

« ما مكث نبى فى الأرض أكثر من أربعين ليلة » .

وفيه أيضا : أخرج إمام الحرمين فى تاريخه ، والطبرانى فى الكبير ، وأبو نعيم فى الحلية ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما من نبى يموت فيقيم فى قبره إلا أربعين صباحاً » .

وفيه أيضا : أن إمام الحرمين فى « النهاية » والإمام الرافعى فى « الشرح » رويا أن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم قال : « أنا أكرم على ربى من أن يتركنى فى قبرى بعد ثلاث » .

زاد إمام الحرمين : « وروى : أكثر من يومين » .

وفيه أيضا : ذكر أبو الحسن بن الزعفراني الحنبلي في كتبه حديثاً : « إن الله تعالى لا يترك نبيا في قبره أكثر من نصف يوم » .

قلت : وهذه الأحاديث كلها مستشكلة (١) خصوصاً عند الملحين علينا في الأسئلة ، عن المعنى الذي وضع لأجله هذا الكتاب من أهل زماننا .

ويوضح الإشكال : ما في الكتاب المذكور ، وهو أيضا في كتاب « مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام » . للحافظ ابن النعمان

---

(١) عبر بقوله « مستشكلة » أي أوجد الناس فيها إشكالات ، أو هي في ظاهرها فيها إشكالات ، لكن الواقع والحقيقة أنه : لا إشكال فيها عند أهل البصيرة بالحديث ، وهم فقهاؤه ، لا الدخلاء.

المغربي (١) من أن أعرابيا جاء ثم قال : يارسول الله ، قد قلت فوعينا قولك ، وكان فيما أنزل عليك « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما (٢) » وقد ظلمت نفسي وجئتك مستغفرا (٣) . وأرجو أن تستغفر لي ، فنودي من القبر : إنه قد غفر لك (٤).

فهذا النص الصريح المقبول الصحيح : يدل على

---

(١) هو الشيخ شمس الدين أبو عبد الله : محمد بن موسى بن النعمان (المراكشي ، المزني ، الهنتاني ، الفاسي ، المالكي) المتوفى سنة ٦٨٣ [كذا من كشف الظنون].

(٢) سورة النساء ، الآية : ٦٤ .

(٣) أي مستغفرا الله عندك ، وقوله « أرجوك أن تستغفر لي » موضح لذلك .

(٤) وفي تفسير ابن كثير لهذه الآية قال :
« وقد ذكر جماعة ، منهم أبو منصور الصباغ ، في كتابه =

أنه صلى الله عليه وآله وسلم مقيم في قبره موجود.

ويوضح الإشكال ما في كتاب الحافظ السيوطي

= « الشامل » الحكاية المشهورة عن العتبي ، قال : كنت جالسا عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فجاء أعرابي فقال : السلام عليك يارسول الله سمعت الله يقول « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما » وقد جئتك مستغفرا لذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربي ، ثم أنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابي ، فغلبتني عيني ، فرأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النوم ، فقال : يا عتبي ، الحق الأعرابي وبشره أن الله قد غفر له » اهـ.

وكتاب الشامل الذي ذكره الشيخ رحمه الله تعالى ، هو « الشامل » في فروع الشافعية لأبي نصر محمد بن عبد السيد بن محمد المعروف بـ « ابن الصباغ » العراقي =

أيضا من أن السيد « نور الدين الأيجي » وقف بالروضة الشريفة ، ثم قال :

« السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته » فسمع من كان بحضرته من القبر قائلا يقول : عليك السلام يا ولدي » .

وان الشيخ أبا بكر (الديار بكري) وقف بإزاء وجه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال .

« السلام عليك يارسول الله » وأنه صلى الله عليه وآله وسلم رد عليه السلام . وأن امرأة هاشمية كانت مجاورة بالمدينة الشريفة ، وكان بعض الخدام يؤذيها ، وأنها شكت إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فسمعت قائلا من الحجرة الشريفة يقول :

= ٤٧٧هـ كذا في كشف الظنون..

وأما لك فيّ أسوة ؟؟ فاصبري كما صبرت ، أو كما قال ، وأن الأستاذ سيدى أحمد الرفاعي نفعنا الله ببركاته ، لما حج وقف تجاه الحجرة الشريفة وأخذ يقول :

في حالة البعد روحي كنت أرسلها
تقبل الأرض عني وهي نائبتي
وهذه دولة الأشباح قد حضرت
فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي (١)

---

(١) وهي قصة صحيحة والحمد لله رب العالمين ، وليست من وضع الصيادي كما قال بعضهم ، وقد استشهد بها كثير من أهل العلم والحمد لله رب العالمين ، راجع هذه القصة في كتاب تنوير الحلك طبعة مكتبة ، دار جوامع الكلم ، ص٣٠ من الطبعة الأولى.

وفي الخطط التوفيقية ص ١١٨ ج٤ الطبعة الأولى سنة ١٣٠٥هـ ما نصه :

= في كتاب ، ترياق المحبين ، المطبوع في سنة ١٣٠٥ ؟ ألف وثلاثمائة وخمسة قال تقي الدين عبد الرحمن بن عبد المحسن الواسطي المولود سنة ٦٧٤ أربع وسبعين وستمائة هجرية ، المتوفى سنة ٧٤٤ أربع وأربعين وسبعمائة نقلا عن عز الدين أحمد الفاروثي الواسطي قال أخبرني والدي أبو إسحاق إبراهيم الفاروثي عن أبيه أبي الفرج عمر الفاروثي أنه قال . كنا مع السيد الكبير محيي الدين أحمد بن الرفاعي ذات يوم مع جماعة كثيرة من أهل الله بواسط ، فقام وصاح صيحة مدهشة ، وقال ، الله ، نوديت من العلا أن يا أحمد قم زر جدك المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فإن هنالك أمانة يؤديها إليك ، فأنا عازم على الزيارة فماذا تقولون ؟ فقام السيد عبد الرزاق الحسيني وأنشد .

مر كل أمر ، فإنا لا نفارقه ... وحدّ حداً فإنا عنده نقف

فقام الجماعة ، ورجع إلى أم عبيدة وتجهز للحج فلما قصد الحجاز هصت الطرقات بالقوافل من كل جهة ، فلما وصل مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وذلك عام =

٥٥٥ خمس وخمسين وخمسمائة ترجل عن مطيته ، ودخل بلدة جده عليه الصلاة والسلام ماشيا حافيا ، وكانت القافلة إذ ذاك أكثر من تسعين ألفا . فلما دخل الحرم الشريف النبوي ، وقد امتلأ الحرم الشريف من كل جهة بالزوار ، وقف تجاه مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والوقت بعد العصر فقال :السلام عليك يا جدي. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعليك السلام ياولدي ، سمعها كل من حضر ، فلما من عليه الصلاة والسلام بهذه المنة العظيم تواجد وأرعد وبكى وجثا على ركبتيه . ثم قام منحرفا متمايلا وأنشد تجاه القبر الكريم البيتين المتقدم ذكرهما ، وكان قد ذكر البيتين الذين ذكرهما رحمه الله تعالى).

« في حالة البعد روحي كنت أرسلها ... ... إلى آخرهما.

فانشق تابوت الرسالة ، ومد له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده الشريفة ، فقبلها والناس ينظرون. وكان فيمن حضر . الشيخ عقيل المنجي ، والشيخ حياة بن =

= قيس ، والشيخ عدي بن مسافر ، والشيخ عبد القادر الجيلاني ، والشيخ أحمد الزعفراني ، والشيخ عبد الرازق الحسيني ، وجماعة من أولياء العصر » اهـ . وجاء في كتاب « مختصر الخلفاء » للإمام الفقيه العلامة ، علي بن انجب ، المعروف بـ« ابن الساعي » البغدادي المتوفى سنة ٦٧٤هـ ص ٩٦ ج١ قال : ومن عجائب ماوقع من أسرار الله تعالى في هذه السنة (٥٥٥هـ) خمس وخمسين وخمسمائة هجرية - أن ولي الله القطب الكبير السيد أحمد الرفاعي قدس الله سره وروح روحه توجه لأجل أداء فريضة الحج إلى بيت الله الحرام ، ثم بعد أن وصل وأدى فرضه رجع بقافلة عظيمة من أتباعه ومحبيه ورفقائه وغيرهم إلى « المدينة المنورة » على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، فلما أشرفت القافلة على المدينة وكانت أزيد من (٩٠) تسعين ألفا ، وفيهم من العراق والشام والمغرب واليمن ومن بلاد العجم - هناك ترجل السيد أحمد رضي الله تعالى عنه عن مطيته ومشى حافيا حتى وصل حرم رسول -

= الله صلى الله عليه وآله وسلم ووقف تجاه قبره الطيب الطاهر وقال: السلام عليك يا جدي، فأجابه عليه الصلاة والسلام بقوله: «وعليك السلام يا ولدي»، فسمع كلامه الشريف كل من كان في الحرم النبوي، فتواجد لذلك السيد أحمد، وحن حنين الثكلى، وجثا باكيا على ركبتيه، ثم قام يرتعد، وأنشد:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها
تقبل الأرض عني وهي نائبتي
وهذه دولة الأشباح قد حضرت
فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده الكريمة من القبر الشريف فقبلها والناس ينظرون.

وقد كان في الحرم الشريف عند خروج اليد النبوية المحمدية الألوف وفيهم من أكابر العصر الشيوخ الكمّل: حيوة بن قيس (الحراني)، وعدي بن مسافر، وعقيل ابن (المنبجي)، وعبد القادر الجيلي، وأحمد الزاهد =

= (الأنصاري)، وشرف الدين أبو طالب بن عبد السميع الهاشمي)، وأحمد بن عبد المحمود (الرمني)، ومبارك بن جعفر (الأرمنري)، وعبد الرحمن بن علي (الدغيمي)، وأبو الفرج عمر (الفاروقي)، ويعقوب بن كراز (البعدوي)، وعلي (الطبري)، وأبو الفتح ماهان (الهمذاني)، والحاج رمضان بن عبد البر بن عبدويه (الواسطي)، وأرسلان التركماني (الدمشقي)، وحسن أبو السعادات (العلوي البغدادي)، ومحمد (الصادقي الشريف البغدادي)، وعبد المحسن الأنصاري (الواسطي)

واستفاض خبر هذه المنقبة الشريفة وتواتر وسارت به الركبان، ولم يستفض ويتواتر في زمن من الأزمنة بعد عهد الصحابة الكرام وسارت به الركبان لولي من الأولياء الأعلام كرامة استفاضة هذه الكرامة وتواترها للسيد أحمد الرفاعي رضي الله تعالى عنه.

وكيف لا، وهي معجزة محمدية أكرم الله بها نبيه صلى =

ـ الله عليه وآله وسلم وامتن بها على وليه السيد أحمد ،
وهي أشهر من كل منقبة للأولياء مشهورة وكرامة لهم
مذكورة ثم قال حدثنا الأمير أحمد بن أبي علي الحسن ابن
علي بن أبي بكر العباسي الهاشمي على شاطيء الفرات ،
ظاهر السمرة بمعبار حلب - ومثله ثقة يعتمد بنقله - أن أباه
حدثه عن أبيه علي بن أبي بكر بن المسترشد أنه حج سنة
٥٥٥ هـ خمس وخمسين وخمسمائة (هجرية) وصحبه
جماعة من كبراء بني هاشم فلما انتهوا إلى مدينة النبي
صلى الله عليه وآله وسلم، وقد دخلها في ذلك اليوم السيد
أحمد الرفاعي قدس الله روحه وقف بمقام المواجهة أمام قبر
النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسلم فرد عليه النبي
صلى الله عليه وآله وسلم السلام والناس يسمعون . وأنشد
السيد أحمد :

في حالة البعد روحي كنت أرسلها

تقبل الأرض عني وهي نائبتي

وهذه دولة الأشباح قد حضرت

فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فظهرت له يد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقبلها
والناس ينظرون إليه

وحدثنا شهاب الدين أحمد بن يوسف بن حليل عن أبيه عن
الشريف جعفر بن محمد بن جعفر ويعرف بـ، شرف
الدين، العباسي المكي بن جعفر بن (الهاشمي) يقول
كنت بالمدينة المنورة سنة ٥٥٥ خمس وخمسين
وخمسمائة هـ ، وقد وصلها السيد أحمد بن الرفاعي زائرا،
فوقف تجاه قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وسلم
عليه فرد عليه السلام سمع ذلك كل من في الحرم النبوي،
ثم أنشد :

في حالة البعد روحي كنت أرسلها

تقبل الأرض عني وهي نائبتي

وهذه دولة الأشباح قد حضرت

فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فظهرت يد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقبلها ، وقد
رآها كل من في الحرم . وقد كنت ممن رآها . والحمد لله رب
العالمين

وحدثنا الشريف : عبد السميع بن شرف الدين عبد
الرحمن المكنى بـ « أبي طالب الواسطي » ، عن أبيه عن
الشيخ عبد القادر الجيلي أنه قال في مدرسته في سادس
محرم سنة ٥٥٧ سبع وخمسين وخمسمائة هـ . رأيت يد
النبي صلى الله عليه وآله وسلم كيف مدت للسيد أحمد بن
الرفاعي فسح الله في حياته ويجالسني أبو الفضل عبد الله
المنصوري وابن « النهر ملكي » ، وهي والله مرئية يغبطه
عليها الملأ الأعلى .

وحدثنا بمثل ذلك أبو الفضل عبد الله البطائحي ، عن
الشيخ علي بن إدريس (اليعقوبي) عن الشيخ عبد القادر
الجيلي.

وحدثنا الشيخ عدي (الصغير) عن ابن عمه الركن ، عن
ولي الله عدي بن مسافر انه قال : كنت واقفا تجاه الحجرة

النبوية حين ظهرت منها يد النبي صلى الله عليه وآله وسلم
للسيد أحمد بن الرفاعي ويحدثني علي بن موهوب ، فلما
خرجت اليد الشريفة قبلها شيخنا السيد أحمد ونحن ننظر
مع الحاضرين وقد كادت تقوم قيامة الناس لما داخلهم من
سلطان هيبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

وبالجملة فهذه القصة بلغت مبلغ القطع .

ومن هذا نعرف أن من قال إنها من تلفيقات أبي الهدى
الصيادي قد أخطأ في حقه لأن الكتاب الذي نقلنا عنه من
الكتب التي كتبت بالسند الصحيح المتصل إلى صاحبها
وهو قريب العهد من الشيخ الرفاعي ولم يكن الصيادي
عميلا للسلطان عبد الحميد كما زعم ، والسلطان عبد
الحميد نفسه كان من أولياء الله تعالى ويكفيه شرفا انه أبى
أن يسكن اليهود في أرض فلسطين ، وقال كلمته المشهورة
« لا ألطخ تاريخ آبائي بالعار » .

والكتاب الذي أخذنا منه طبعته مكتبة الآداب بالقاهرة

وأنه صلى الله عليه وآله وسلم مد يده الشريفة له فقبلها وعادت.

إلى غير ذلك مما في الكتاب وغيره .

ومما يوضح الاشكال قوله صلى الله عليه وآله وسلم «رأيت ليلة الإسراء أخي موسى قائما في قبره بالكثيب الأحمر يصلي»

واعجب من ذلك ما ينقله المؤرخون من أن نوحاً نقل آدم معه في السفينة خشية عليه من الطوفان ، وأن يعقوب عليه الصلاة والسلام كان مدفونا بالقرافة في مصر ، وأن يوسف ولده كان مدفونا بمصر «بدء الفيوم» وأنهما نقلا إلى بلد الخليل في جوار بيت المقدس ، ليجمع بينهما وبين آبائهما .

والحاصل أنه مهما سُلّم أن كل نبي ملازم لقبره

السنة لزوما كليا بحيث إنه لا يصح وجوده في غيره ، كانت تلك الأحاديث في غاية الإشكال ، وكان ذلك نقصا في حقوق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فإن من آحاد الأموات - فضلا عن الأصفياء والأولياء - من يخرج من قبره شبح مثله بحيث تشاهده الجمهور في أقصى البلاد البعيدة عن قبره . وتواتر الخبر على ألسنة هذه الأمة : أن القطب سيدي أحمد البدوي المعروف في بلاد الكفار بـ«الخطاف»(١) اتفق له - بعد موته - أنه حمل الأسرى من بلاد الإفرنج إلى أوطانهم ، بمصر وغيرها وعاد (إلى) تربته(٢) والذي يظهر - إن شاء

---

(١) أو الخطاب

(٢) لاحظ قوله - فيما سبق - شبح ، أي مثال ، وأما الجسم نفسه فلم يبرح قبره رضي الله عنه وهذا نوع من إكرام الله تعالى لعباده الصالحين ، وإكرام الله تعالى لعبد يأتي على -

الله تعالى ـ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين مات
انتقل إلى أزكى الرضوان ، وإلى أعلى فراديس الجنان ،

** سبيل خرق العادة ولا مجال لاستعمال العقل هنا ، وقد رأينا بأعيننا الشيء الكثير ، مما لا يخضع لقوانين العقل من الكرامات ، وقد كان بعض الأولياء يمشي في الهواء

وبعض الذين ينكرون كل شيء ، بعقولهم يقول هذا مستحيل ، والعقل لا يقبله

ثم رأينا بأعيننا الطائرة وفيها مئات الناس من النصارى واليهود ، فلا عامل بحملها ، فكيف يقولون ؟؟ ولا نسوي بين أولياء الله وأولياء الشيطان ، فإن المشي في الهواء لأولياء الله كرامة ولأولياء الشيطان استدراج وإهانة وفي كتاب ، الجواهر والدرر ، للشيخ عبد الوهاب الشعراني

ان الله تعالى يوكل بعبده الولي ملكا يقضي حوائج الناس ، كما وقع للإمام الشافعي ، والسيدة نفيسة والسيد البدوي رضي الله تعالى عنهم ، يعني في إنقاذ الأسير من أسره من بلاد الإفرنج .

وإلى درجة الوسيلة على ترتيب معقول ، هو أنه صلى الله عليه وآله وسلم وصل إلى روضته المشرفة ، ومحل قبره المعظم ، ثم تمّ رفعه بلا شبهة إلى أشرف درجة عنده ، وهي درجة الوسيلة التي يغبطه فيها الأولون والآخرون .

ثم إن الله سبحانه وتعالى ـ أذن له إذنا مستحكما أن يسير في أقطار السماوات والأرض ، والبر ، والبحر ، والسهل والوعر ، حيث شاء ، متى شاء ، ومع هذا فقد أعطاه الله تعالى قوة وهيبة ، وأهله أهلية ، بحيث يكون في درجة الوسيلة موجودا ، وبحيث لو ناداه مناد منها نبي مرسل ، أو ملكٌ مقرب لأجابه ، من يوم موته إلى ما لا نهاية له مما بعد القيامة .

كما هو كذلك في درجة الوسيلة ، فكذلك يجده طالبه بين يدي ربه سبحانه وتعالى .

ويجده المسلم عليه داخل قبره .

ويجده كل طالب بين يدي مطلوبه .

كما يجده المتفكر في فكره ، والعارف في سره ،

كما أذن الله تعالى للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، بعد رفعهم إلى حظيرات قدسه الأعلى ، في إقامة شبح منهم في قبورهم ، تأنيسا لأهل الأرض ، وفي تجريد أشباح تسرح حيث شاءت ، على أنه لا حجْر على ذلك والشبح المقيم في القبر ليس لإقامته معنىً سوى أنه متى طلبه طالب وجده ، ومتى حضر عليه رأى شخصه .

ويوضح ذلك ما سيأتي في سيدنا موسى عليه السلام .

قال الحافظ السيوطي في كتابه المذكور (تنوير الحلك في جواز رؤية النبي والملك) بعد استيعابه لأكثر نقول العلماء ، والأحاديث الدالة على إمكان رؤية النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في المنام واليقظة :

قد تحصل من مجموع هذه النقول والأحاديث :

أن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حيٌّ بجسده وروحه

وأنه يتصرف في أقطار الأرض ، وفي الملكوت ، وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته ، لم يتبدل منه شيء .

وأنه يغيب عن الأبصار ، كما غُيّبت الملائكة ، مع كونهم أحياء بأجسادهم .

فإذا أراد الله تبارك وتعالى رفع الحجاب عن من أراد كرامته برؤيته : رآه على هيئته التي هو عليها ، لا مانع من ذلك ، ولا داعي إلى التخصيص برؤية المثال[1] .
انتهى .

---

(١) راجع ص ٥٨ من الطبعة الأولى ، دار جوامع الكلم .

الأدلة على أن النبى لا يخلو منه مكان ولا زمان

صلى الله عليه وآله وسلم

قلت : وأما كلامنا ، والذى نقوله -إن شاء الله تعالى-: إن الأمر كما قال الجلال السيوطى ، والخص من ذلك ، وأن الذى أراه : أن جسده الشريف ، لا يخلو منه زمان ولا مكان ، ولا محل ، ولا إمكان ، ولا عرش ، ولا لوح ، ولا كرسى ، ولا قلم ، ولا بر ، ولا بحر ، ولا سهل ، ولا وعر ، ولا برزخ ، ولا قبر ، كما أشرنا إليه آنفاً ، وأن امتلاء الكون الأعلى به كامتلاء الكون الأسفل به ، وكامتلاء قبره ، فتجده ملبيا فى قبره ، طائفا حول البيت ، قائما بين يدى ربه ، لأن الخدمة تامة الانبساط بإقامته فى درجة الوسيلة .

ألا ترى أن الرائين له يقظة أو مناماً فى أقصى الغرب يوافقون فى ذلك الرائين له كذلك فى تلك الساعة بعينها فى أقصى المشرق .

فمتى كان ذلك مناما ، كان ذلك فى عالم الخيال والمثال.

ومتى كان يقظة كان بمعنى · الجمال والجلال ، وأعلى غايات الكمال ، كما قال القائل .

ليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم فى واحد

فإن قال قائل · أمل طلع بهذا فى أفق سماء العقل نور شمسكم ؟؟ أم هو شىء تقولوبه من عند أنفسكم ؟؟ وكيف يتصور هذا الحال ؟ . . . وكيف يصح أن يحل جسم واحد فى جميع المحالّ ؟؟؟ !!

قلت : الجواب - إن شاء الله تعالى - أن من كذب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد استحق - والعياذ بالله - الصد[1] ومن أحدث في أمره الشريف ما ليس فيه فهو رد[2] فما ذكرناه في هذا المدّعى ، إنما هو بفيض فائض الإلهام ، ولا يتوقف في صحته - إن شاء الله تعالى - أحد من أهل الأفهام ، إلا الشاذ النادر من أهل الأوهام ، وأصحاب الإبهام والإيهام.

---

(١) لورود جملة أحاديث في هذا المعنى ، منها قوله صلى الله عليه وآله وسلم :

« من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »

[روى هذا الحديث واحد وستون صحابيا].

(٢) لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ».

[متفق عليه ، ورواه أبو داود ، وابن ماجه].

وليس يصح في الأذهان شيء

إذا احتاج النهار إلى دليل

وإذا لم تر الهلال فسلم

لأناس رأوه بالأبصار

و : « من علم : حجة على من لم يعلم ».

و : « من فهم : حجة على من لم يفهم ».

و : « من حفظ : حجة على من لم يحفظ ».

على أنا نقول : لا نفارق إلا بجميل[1] ، ولا يصح قول إلا بدليل ، فلنا على ذلك أدلة صحيحة نقلية ، وبراهين وجودية قطعية .

---

(١) أي لا نفارق أحداً من المسلمين إلا بالجميل من القول والتلطف وحسن الخليقة.

الدليل النقلي

فمن الدليل النقلي ما رويناه في عوالينا الصحيحة في مسانيدها الثابتة الرجيحة، كما هو ثابت عند جميع الحفاظ، وعند جميع أهل المعاني والألفاظ، من أنه صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الأسراء رأى أخاه موسى قائما يصلي في قبره(١).

وجاء نبينا إلى بيت المقدس، فرآه أيضا بين يديه وصلى موسى خلفه مقتديا به صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) رواه أبو داود، وصححه من ابن كثير عن أنس قال. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: مررت ليلة أسري بي على موسى عليه الصلاة والسلام قائما يصلي في قبره اهـ ورواه مسلم أيضا، والحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده، أما رؤيته له في السماوات فهي في كل الروايات المعروفة.

أسوة الأنبياء، ثم فارقه وصعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى السماء الرابعة فوجده فيها، أو في غيرها ـ على ما روى ـ فقد روى أنه وجد آدم في الأولى، وعيسى في الثانية، ويوسف في الثالثة، وإدريس في الرابعة، وهارون في الخامسة، وموسى في السادسة، وإبراهيم في السابعة».

على أنه يصح أن يكون رأى موسى فيهما جمعا بين الروايتين.

فإن كان هذا لموسى، وهو دون نبينا صلى الله عليه وآله وسلم في الرتبة، فنبينا بكونه موجوداً في كل مكان، وكونه مقيما في قبره أجدر وأحق، وأحرى وأولى، كوجود موسى في السماء الرابعة أو السادسة، مع أن نبينا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فارقه ببيت المقدس، وفارقه قائما في قبره يصلي

لكن يختص نبينا باستعلاء الكون به عن موسى ، وعن غيره ، لأن نبينا تقرب وترقى ليلة الإسراء إلى ما لا قدرة ملك مقرب، ولا نبيّ مرسل ، على الوصول إلى تخطي خطوة منه ، ولذلك تخلف رئيس الملائكة جبريل عند سدرة المنتهى محتجا بقوله ، « وما منا إلا له مقام معلوم »(١) ، وتخلف(٢) إبراهيم في السماء السابعة، وتخلف موسى في السماء الرابعة ، أو السادسة ، إلى غير ذلك.

ومن الأدلة النقلية أيضا على ذلك . الصريحة الصحيحة : ما سلكناه من أوضح المسالك وهو ما ثبت عندنا في عوالينا الصحيحة ، ومسانيدنا الثابتة

---

(١) سورة الصافات ، الآية ١٦٤.

(٢) تخلفه . أي تركه وسار ، ومعروف أن موسى وعيسى ، وإبراهيم ، وجميع من لقى من الأنبياء والمرسلين ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ مدفونون في الأرض.

الرجيحة ، كما هو ثابت عند إمام الأئمة : الحافظ البخاري وغيره ، وهو أن الملكين يقولان للمقبور « ما تقول في هذا الرجل » .

واسم الإشارة لا يشار به إلا حاضر(١).

هذا هو الأصل في حقيقته ومعناه .

وأما قول بعض العلماء: إنه يمكن أن يكون حاضراً ذهنا ، فلا سبيل إليه هنا ، لأنا نقول له : ما الذي دعا إلى التجوز والعدول عن الحقيقة إلى ذلك ؟؟

---

(١) وكذلك صلاة المصلي ، وسلام المسلِّم عليه في التشهد من كل صلاة ، فإن الكاف في قوله « عليك أيها النبي » كاف المخاطب الموجود ، وهذا في اللغة معروف ؛ ولكن على الهيئة والكيفية التي أرادها الله تعالى ، والله تعالى أعلم .

فوجب أن يكون حاضراً بجسده الشريف بلا كلام[1]».

وفي بعض المنقولات أن مالكاً مات ، فسئل في القبر ، فأرتج عليه في الجواب ؛ فقال ميت بإزائه : هذا مالك بن أنس واقف عند رأسك يجيب عنك

قلت : فعلى هذا ، فإماما الإمام الأعظم ، الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه وقدس روحه ونور ضريحه أحق بذلك من كل أحد[2].

ولهذا قلنا من نظمنا البديع :

---

(١) ولكن كما يعلمه الله تعالى ، وبالطريقة التي أرادها في ذلك ، ولا حرج على قدرة الله تعالى .

(٢) لأنه يجتمع مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عبد المطلب وليست هذه لأحد من الأئمة غيره .

إذا ما أتاني منكر ونكير عن
صحيح اعتقادي من جعلت إمامي[1]»

أقول لهم : دين النبي محمد
أدين به والشافعي إمامي

وقلنا :

فنعم الإمام الشافعي من انتمى
له لا يرى لوناً ، فاستعاذه ليث

ولا يخش ضيماً لا ولا يشتكي ضنى
فإن له غوثاً مكارمه غيث

وقلنا أيضاً :

---

(١) أي من أئمة المذاهب الأربعة . « وإذا » التي في أول البيت « يعني « لو ».

إني اتحدت طريقة وعقيدة

علم ابن إدريس الإمام الشافعي

وجعلت مذهبه الشريف وسيلة

لي في غد عند النبيّ الشافع

رجوعاً(١) لما نحن بصدده ، فقد كاد أن يخرج الكلام في مدح إمام الأئمة الأحبار عن قبضة الاختيار ، فأقول والله المرجو المأمول

هذان دليلان نقليان ، يتلقاهما بالقبول : سليم الفطرة والفطنة ، والنية.

الدليل القطعي

ولم يبق إلا ذكر الأدلة القطعية العقلية .

(١) بالنصب ، على تقدير فعل محذوف ، هو أروم.

ويجب بعد ذلك التسليم ، على من فيه بعض إنسانية(١) .

فمن البراهين القطعية - أنه لا يخالف أحد من كل موجود في أنه صلى الله عليه وآله وسلم روح الوجود .

وهل رأيت أو بلغك في قول مشروح - أنه يصح مع الحياة خلو جزء من البدن عن الروح .

ولما كان صلى الله عليه وآله وسلم روح العوالم العلوية والسفلية وجب أن لا يخلو جزء منها عن جسده وروحه الزكية .

ومن البراهين على ذلك أيضاً . أن جماعة من الأولياء كان مشهدهم هذا المشهد ، ومشهدهم هذا المشهد :

(١) يعني الذي لا يسلم بعد ذلك ، ليس من بني الإنسان.

ألا ترى إلى ما حكاه الجلال السيوطي وغيره في الكتاب المذكور « تنوير الحلك » وغيره ، من أن العارف بالله أبا العباس الطنجي قال :

«ذهبت إلى الأستاذ أحمد الرفاعي ليسلكني فقال لي : هل عرفت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟؟ . اذهب إلى شيخك عبد الرحيم القناوي ليعرفك به ، ليصح لك السلوك.

قال : فذهبت إليه فقال لي : اذهب إلى بيت المقدس يكشف لك عن ذلك.

فلما جئت بيت المقدس كشف لي الله تعالى عن بصري ، فرأيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ملء السماوات والأرض ، والعرش والكرسي ، وملء سائر الأقطار والأكوان (١)».

(١) ومنه القصة ذكرها الشيخ محيي الدين بن عربي في =

ومن البراهين على ذلك : أن غالب الأولياء والعارفين كانوا يجتمعون ـ غالبا ـ بسيد المرسلين يقظة ومناماً (١).

وكان العارف بالله تعالى خليفة بن موسى كثير الاجتماع به ، واجتمع به في ليلة واحدة سبع عشرة مرة ، وقال له :

« يا خليفة لا تملّ منا ، فقد مات كثير من الأولياء بحسرة رؤيتنا ».

قلت : فكان الحاصل : أن الحجاب من قبلنا .

= كتابه « روح القدس » وهو مطبوع فراجعه.

ومعنى « ملء السماوات والأرض » : أنه كلما التفت إلى مكان وجده فيه .

(١) ذكر ذلك العارف بالله تعالى الشيخ عبد القادر بن حسين ابن مغيزل في كتابه « الكواكب الزاهرة في اجتماع الأولياء يقظة بسيد الدنيا والآخرة » .

بموجب مساوينا، لا من قبله -صلى الله عليه وآله وسلم-.

ولهذا تجد العبد متى فارق روحه نفسه، ولو بالنوم وأغمض عينيه يراه إذا قسم الله تعالى له ذلك، ومتى قتلها بلمعها وأماتها بردعها لم يبق بينه وبينه حجاب، لا مناما ولا يقظة.

ولهذا كان شيخنا الشيخ نور الدين الشوني يجتمع عليه بالمحيا(1)، بالأزهر يقظة، وكان علامة اجتماعه قيامه في المحيا، فيقوم الناس معه. تارة آخر الليل، وتارة نصفه، وتارة عند ابتداء القراءة في المحيا بعد العشاء، ليستمر قائما إلى الصبح.

وكان يجتمع به في خلوته بالسيوفية(2). بباب

---

(1) اسم مجلسه الذي كان يعمله في الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(2) هو: جامع المطهر، على يسرة الداخل إلى الصاغة من-

الرهومة ليلا ونهاراً: غالبا.

وكان السيد أبو العباس المرسي يقول:

« لو حجبت عن رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين ».

والأخبار في هذا أكثر من أن تحصى، وأشهر من أن تستقصى اكتفينا بهذا عن قصد حصرها

وفي كتاب الحافظ السيوطي المذكور وغيره بعض أشياء من ذلك، فراجعه تقرُّ به، لأن جل القصد والغرض من هذا التصنيف الجواب عن السؤال، وقد حصل.

ومن البراهين على ذلك أن الأبدال من هذه الأمة إنما يسمّى الواحد منهم بدلا، لأنه يسافر ويترك بدله مكانه

- شارع السكة الجديدة (اموسكي) بالقاهرة

شخصا على صورته .

وقد اتفق لقضيب البان أنه ادُّعي عليه بترك الصلاة ، فسأله القاضي : ماذا تقول ؟؟

فانقسم سبع صور، كل منها لا يشك شاكٌ أنه قضيب البان، فقالت صورة من تلك الصور للقاضي وللمدعين انظروا على أي صورة تدعون بترك الصلاة(١) .

قلت : فإذا كان هذا للواحد من الأبدال ، أفلا يظهر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألف ألف مثال .

ومما يصح نقله : أن بعض مريدي سيدي تاج الدين

(١) هذا وأمثاله يسلم به لمن أعطاه الله ذلك ، إذ هي منة من الله تعالى لمن أراد من عباده ، والجسم الآدمي واحد ، والستة صور على مثال الجسم .

ابن عطاء الله السكندري رضي الله تعالى عنه ، صاحب كتاب « الحكم » وكتاب « التنوير » وغيرهما : حج سنة فما وقف بموقف ، ولا حضر مشهدا إلا ورأى سيدي تاج الدين في ذلك الموطن ، وأنه متى همّ أن يكلمه يأتي إليه فلا يجده ، وأن المريد جاء إلى مصر وسأل عن حال سيدي الشيخ ، فقيل له : إنه طيب ، فلما اجتمع بالشيخ قال له ـ مكاشفة ـ أرأيت كذا في محل كذا ، أو كما قال :

إلى غير ذلك مما حكي.

ومن البراهين على ذلك انه من الممكن المعقول المشاهد في رأي العين - أن يجعل الله تعالى نبيه سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بمكان ، كمكان جعل فيه البدر ، فيراه الذي في أقصى المشرق ، كما يراه الذي في أقصى المغرب ، وهو فرد ، وضوؤه ملأ الأكوان .

وكذلك عين الشمس والزُّهَرة ، وبقية النجوم ، فإنه قد استوى في رؤيتها كل من كان على وجه الأرض ، لأن الله تعالى قد جعل لها مكانا يقتضي ذلك.

فلا بِدْعَ أن يكون قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بطيبة كذلك.

ولا غرو في أن يجعل الله تعالى شيئا من سيما بمنزلة قبر طيبة(1) أيضا يرى منها ويشاهد كذلك ، ما لم يكن الرائي أعمى البصيرة ، فلا يرى شيئا ، ولا يؤمن بشيء ، كما أن أعمى البصر لا يرى الشمس ولا القمر ولا النجوم ، مع كونها بادية بارزة ظاهرة.

ولهذا قلنا من نظمنا البديع شعرا لطيفا :

(1) طيبة : اسم من أسماء المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

مثال النبيّ المصطفى في وجوده
بسائر أرض الله في العجم والعرب
على أنه في قبره طاب تربُهُ
بطيبة دامت منه في صلة القرب
كبدر تعالى في السماء وضوؤه
يعم جميع الكون في الشرق والغرب

وقلنا :

انظر إلى المختار كيف وجوده
ملأ السما والأرض والأكوانا
فتراه(1) مثل البدر في كبد السما
وضياؤه ملأ الوجود عيانا

(1) في المخطوطة : « فتجده » والتصحيح من المطبوعة –

ومن البراهين على ذلك : أنه يجوز ، ويمكن ، ويتعقل ، أن يجعل الله تعالى العوالم العلوية والسفلية ، بين يدى النبى صلى الله عليه وآله وسلم كجعله تعالى الدنيا بين يدى عزرائيل ، فإن الملك الجليل عزرائيل سئل كيف تقبض روحى رجلين حضر أجلهما معا : أحدهما فى أقصى المشرق ، والآخر فى أقصى المغرب ؟؟؟

فقال : إن الله تعالى قد زوى لى الدنيا بجميع أكوانها فجعلها بين يدىّ كالقصعة بين يدى الآكل ، أتناول منها ما شئت

ومن البراهين على ذلك أيضا أن أمر البرزخ لا يقاس على غيره ، ألا ترى لملكى السؤال ، مع تناهي عظمهما ، فى أضيق اللحود : من أين يأتيان ؟؟ ومن

= والمعنى واحد.

أين يذهبان ؟؟ وكيف يسألان ميتين أو أمواتا فى وقت واحد ، منهم من هو فى أقصى المشرق ، ومنهم من هو فى أقصى المغرب ، وكيف يخرق بإصبعه فى جانب اللحد طاقة تنفذ إلى الجنة ، وطاقة تنفذ إلى النار ، مع أن الجنة مع سدرة المنتهى (١) ، والنار تحت البحر المالح (ليس المراد البحر الملح الذى نعرفه).

فكان الحاصل أن الله تعالى الرب الحكيم الحليم القادر العلى العظيم ، فى قدرته أن يعطى سيدنا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم الذى أعطاه لملكى السؤال وملك الموت ، وفوق ، إذ هما دونه ، لأنهما إنما يسألان عنه ، وكان الجاحد لذلك - بعد علمه بهذا المفاد - ضالا كما ضلت الفلاسفة حيث جعلوا فى سرة بعض المقبورين زئبقا ظانين أنه متى أقعد للسؤال فى القبر

(١) لقوله تعالى :﴿ عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى ﴾ .

سال الزئبق ، ثم نبشوا بعد ذلك عليه فوجدوا الزئبق لم يسل.

ولهذا قلنا في نظمنا البديع [مع خير الورى محمد الشفيع (١)]:

إذا وعت فردا خاشعا ، فيه جُمّعت
عوالم خلق الله فضلا من الله
لقدر النبي المصطفى انظر وسل وقل
بجد مليء أبصار وسمع والفواه

* * *

ما أبصرت قط عين أو وعت أذن
أوفاه نطق بمدح أو أشيع ندا

(١) هكذا هي في المخطوطة ولا وجود لها في المطبوع .. ولعلها [في خير الورى محمد الشفيع].

كالمصطفى منظرا ، أو ذكره خبرا
أو قدره منصبا ، أو راحتيه ندا

* * *

إذا قدروا الأشياء تقدير أربع
وعشرين جمرا ، فالنبي وآله
[محمد منه ألف جزء مقسوم
سائر خلق الله جل جلاله (١)]

(١) هذا البيت غير مستقيم المعنى ، وكلمة « منه ألف » هي سبب اختلال المعنى وهي موجودة في النسختين المخطوطة والمطبوعة ، ولكن الوضع الصحيح له .
محمد منه وهو جزء مقسوم * سائر خلق الله جل جلاله
والمعنى أنه واحد من الخلق ، وهو يساوي الخلق جميعهما ، والله تعالى أعلم .

تقاصر فوقُ الفوق والأوجُ والعلا

ولم يبلغوا المعشار من قدر آدما

فكيف بمن فاق النبيين رفعة

وأضحى سماء لا تطاولها سما

تقاصر مدح الناس عن مدح من علا

على المدح : عبد الله ، وهو حبيبه

محمد المختار حتى كأنما

مديح جميع العالمين بعيبه[1]

(1) لأن جميع العالمين لا يستطيعون توفية حقه صلى الله عليه وآله وسلم ، فلهذا كان مدحهم له بعيبه بمعنى أنه أكمل وأكبر مما يقولون ويعتقدون.
فمبلغ العلم فيه أنه بشر ■ وأنه خير خلق الله كلهم

لو لم يكن من جنسنا

من قدره فوق الملك

محمد ما فضلوا

جنس البشر على الملك

تذكر - فديتك - في عز من

رقا فوق ما وصفه بذكر

ولما أتى سدرة المنتهى

تدلى له الرفرف الأخضر

فإن قال قائل: ما قدر الرفرف الأخضر؟؟ وهل كان يسعُهُ وحده أو لا ؟

فالجواب : أنه لما تدلى سد الأفق الأعلى

وقد نحرزُ - إن شاء الله تعالى - من هذه المقالات

والأجوبة والسؤالات. لأنه صلى الله عليه وآله وسلم حيٌّ بجسده الشريف وروحه، لا يخلو منه زمان ولا مكان ولا عصر ولا أوان.

وقد بلغنا عن الولي العارف سيدي عبد العزيز الديريني أنه لما نسبت إليه المشيخة بديرين، ونازعه فيها جماعة من الأشراف، اتفقت آراء أهل البلاد والعلماء على موعد بعد صلاة الجمعة، وأن السادة الأشراف ينادون جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن سيدي عبد العزيز يناديه أيضا، وأن كل من أجابه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان الحق له، فاجتمع لذلك جماهير العلماء والناس. فقال سيدي عبد العزيز للأشراف: تقدموا أنتم ونادوا، فتقدم واحد بعد واحد منهم، كل منهم ينادي: يا جدي يا رسول الله، فلم يجب واحداً منهم، فعند ذلك تقدم العارف سيدي

عبد العزيز فقال: «يا سيدي يا رسول الله»

فسمع الناس قاطبة: «لبيك يا عبد العزيز»

فقال جماعة: إن الصف الذي يلي سيدي عبد العزيز سمع والصفوف التي خلفه لم تسمع، فأعاد النداء، فعادت الإجابة (ثلاث مرات)

فانظر إلى اتصال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بديرين مع أن جسده الشريف بطيبة في مقام أمين، لأنه صلى الله عليه وآله وسلم ملأ الأكوان كلها بنفس.

واعلم أن آخر من اجتمعنا عليه من المشايخ العارفين من أصحاب التسليك الهادين المهديين: الشيخ نور الدين الشوني(١) صاحب الحال النبوي والمدد

(١) نسبة إلى «شوني» قال المرحوم علي باشا مبارك في كتابه «الخطط التوفيقية» قريتان بمصر إحداهما من مديرية –

المصطفوي الذي كانت الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم دأبه ليلا ونهارا، حتى صارت له شعاراً ودثاراً.

= المرحوم بنحو ميلا، غربي ناحية الكرسية بنحو ألف متر وبحري ناحية: قشطوخ بنحو ألف وخمسمائة متر، وبها جامع بدون منارة، ومعمل دجاج وزراعة أهلها كمعتاد الأرياف، والثانية من مديرية الغربية، ثم قال: وإليها ينسب الشيخ نور الدين الشوني، بعد توفي سنة ٩٤٤هـ وأنشأ مجلس الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سنة ٨٩٧هـ في مسجد الأزهر، وكان قد بدأ هذا المجلس بمسجد السيد البدوي بطنطا ثم جاء إلى القاهرة وأقام بتربة السلطان برقوق بالصحراء، ثم أخذه السلطان طومان باي، إلى تربته التي أنشأها فأقام بها عدة سنين، ثم انتقل إلى المدرسة السيوفية بالقاهرة، ولما مات عام ٩٤٤ هـ دفن بالقبة المجاورة لمدرسة الفاخورية بخط بين السورين التي هي الآن مسجد المعروف بالإمام الشيخ الشعراني بباب الشعرية، ورحم الله الجميع.

وكان هذا الرجل كثير الاجتماع بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقظة ومنامًا - كما قدمنا - ومثل ما أسلفنا - بحيث شاع ذلك عنه وذاع، وملأ الأفواه والأسماع.

بشارة للمؤمن

وقد نقلنا في عوالينا الصحيحة، ومسانيدنا الثابتة الرجيحة، كما هو ثابت عند الشيخين الإمامين البخاري ومسلم، وعند أبي داود، من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، ولا يتمثل الشيطان بي»(١).

وروى الطبراني مثله من حديث مالك بن عبد الله

(١) ورواه أبو داود، والبيهقي، وفي رواية: «من رآني فقد رأى الحق، فإن الشيطان لا يتزايا بي» [رواه البيهقي، =

الخثعمي ، ومن حديث أبي بكرة .

وروى الدارمي مثله من حديث أبي قتادة الأنصاري

ومعنى هذا الحديث التبشير بأن من فاز من أمته برؤيته في المنام لابد له إن شاء الله تعالى أن يراه في اليقظة ولو قبل الموت بهنيهة، ويسلم -إن شاء الله تعالى- العبد في ذلك الوقت من المقت ، إذ هو وقت الحاجة.

على أن جمهور الصلحاء من السلف والخلف:

= والإمام أحمد ، والبخاري] .

وفي رواية : « من رآني في المنام فقد رآني ، إنه لا ينبغي للشيطان أن يتمثل في صورتي » [رواه الإمام أحمد ، والإمام مسلم ، وابن ماجه].

وفي رواية : « من رآني في المنام فقد رآني ، فإن الشيطان لا يتمثل بي » [رواه الإمام أحمد ، والبخاري ، والترمذي].

وفي رواية : « من رآني ، فإني أنا هو ، فإنه ليس للشيطان أن يتمثل بي » [رواه الترمذي].

اجتمعوا به حقيقة يقظة ، وسألوه عن أشياء من مصالحهم ومآربهم وعواقبهم فأجابهم عنها بأمور وحذرهم من أشياء، فجاء الأمر كما قال : سواء بسواء.

وقد ذكر ذلك الجلال السيوطي في كتابه المذكور بعينه فراجعه تعز به .

وقد استقر الحال -إن شاء الله تعالى- على أن أرواح المؤمنين المأذونة تسرح وتمرح في الجنة والسماوات، وتأتي أفنية قبورها لزيارة أجسادها أحيانا ، وتدنو من سماء الدنيا تجاه قبورها ، وأن الميت المؤمن يعرف زائره والمسلم عليه ويرد عليه متى تمكن وأذن له ، ولم يكن مشغولاً فيه ، وأن تلك المعرفة تزداد من عشية يوم الخميس وتستمر الزيارة لصبيحة يوم السبت ، وأن الأولياء والأصفياء أزيد من عامة المؤمنين في ذلك ، وأن العلماء العاملين ، والشهداء والصحابة ، والآل والقرابة

أقوى زيادة وتخصيصا ، وأن الأنبياء يسيرون في الكون بأشباحهم وأرواحهم ويحجون ويعتمرون متى أذن الله لهم في ذلك ، كما كانوا أحياء ، وأن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: ملأ العوالم العلوية والسفلية، لأنه أفضل عباد الله تعالى وعبّاده ، وأن الكون كله بما حوى وما وعى : من منظوراته بفضل ربه تبارك وتعالى.

فإن قيل : قد أجدتم في هذا الجواب غاية الإجادة ، وأفدتم نهاية الإفادة ، لكن بقي عليكم سؤال موجه يجب الجواب عنه لتعميم فائدة هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ، وهو أنه : ورد السؤال في صحيح الأخبار : أن الله تبارك وتعالى وكّل ملكا بقبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يبلغه الصلاة والسلام من المصلي والمسلم عليه ، وأنه ليلة الجمعة ويومها

يسمع ذلك بنفسه(١) ، ويرد بكل حال ، فلو كان حاضراً في كل مكان أو موجوداً في كل زمان ، أو رفع من قبره ، لما احتاج الأمر إلى الملك ؟؟

فالجواب ـ إن شاء الله تعالى ـ أنكم قد علمتم من مفادنا في هذا الكتاب : أن القبر الشريف المنور ، الكائن بطيبة الطيبة على صاحبه من الرحمن الرحيم أفضل

---

(١) روى الطبراني وابن ماجه كما قال المنذري رحمه الله عن أبي الدرداء : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أكثروا الصلاة عليّ يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة ، ليس من عبد يصلي عليّ إلا بلغني صوته حيث كان .

قلنا : وبعد وفاتك .

قال : وبعد وفاتي ، إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء . [انظر كتاب : جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام] .

الصلاة والسلام ليس خاليا عنه صلى الله عليه وآله وسلم، بل هو ممتلىء به، ثمرة الكون العلوى والسفلى، وله زيادة تخصيص بحلوله صلى الله عليه وآله وسلم فيه ودفنه، وذلك الشأن أزيد من تلك الشئون كلها، وأقوى هيبة.

وحينئذ فلكل ملك قلعة ومحل كرسي لمملكته وذلك المحل للنبى صلى الله عليه وآله وسلم هو طيبة الطيبة والروضة المشرفة.

فإذن : محل الخدمة هو هناك

فالخدام والطواشية يخدمون ظاهراً

والملائكة الكرام يخدمون ظاهراً وباطنا.

وقد جعل الله وظيفة أداء خدمة التبليغ لذلك الملك المسئول عنه على سبيل الاحترام والتوقير.

وإلا فالذى يقول بأن البعد فى المسافة حجاب بين صلاتنا وبين سماع النبى صلى الله عليه وآله وسلم لها : يلزمه أن القبر الشريف والشباك المعظم ونحو ذلك من الأشياء الحسية : مانع من السماع له صلى الله عليه وآله وسلم ... وهذا لا يقول به أحد.

فعلم أن ملازمة الملك، إنما هى لأداء وظيفة الخدمة ولدوام إقامة الناموس والحرمة ولإظهار مزية ليلة الجمعة ويومها، فيكون المعنى -إن شاء الله تعالى- أنه يحدث للنبى صلى الله عليه وآله وسلم -فى تلك الليلة زيادة إدراك ليهتم بشأنها.

وأيضا ملازمة الملائكة والخدم هناك لئلا يتعطل محل العهد بالجسم الشريف من الزيارة.

ولهذا ورد:

«من حج ولم يزرني فقد جفاني»(١).

ففيه إعلام وتصريح بأن الاجتماع بحضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في كل زمان ومكان ليس إلا لمن فاز من الله تعالى بخصوصيات المواهب وحاز جميع المناصب، وفاز بأعلى المراتب، وعمل عملا يصح أن يكون وسيلة إلى ذلك، كما وقع لشيخنا الشيخ نور الدين الشوني رحمة الله تبارك وتعالى عليه بسبب ملازمة الصلاة والسلام على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالغدو والآصال والعشي والإبكار، وآناء الليل وأطراف النهار بحيث اتخذ ذلك ورداً، وجعل ذلك حزباً، وكان لا يسلّكُ إلا بها، لا بخدمة، ولا سجادة، ولا تلقين، إلى غير ذلك.

(١) رواه ابن عدي في الكامل، وذكره أبو الحسن الدارقطني في «أحاديث مالك بن أنس»، وذكره الحافظ السبكي في كتابه «شفاء السقام».

أعمالنا تعرض على نبينا

صلى الله عليه وآله وسلم

ومن هذا الفضل: أن الملائكة تعرض أعمال الأمة على نبيها محمد صلى الله عليه وآله وسلم نبي الرحمة والشفاعة صلى الله عليه وآله وسلم في كل يوم بكرة وعشية، ليس ذلك لخفائها عليه، بل لإقامة أداء الخدمة، ولإظهار العدل بإقامة الحجة، بشهادة الملك أيضاً، وإلا فكفى بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم شاهداً، وكفى بالله شهيداً رقيباً قريباً.

ألا ترى أن الله تبارك وتعالى، وعز وجل مع إحاطة علمه بالكليات الصادرة عن عباده والجزئيات، نصب

كراماً كاتبين ، وسفرة بررة حافظين ، إلى غير ذلك من الأدلة العقلية والنقلية أيضاً ـ على ماذكرناه ـ من أن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حاضر البتة ، وأن الله تبارك وتعالى نصبه شاهداً على أعمال العباد : خيرها وشرها ، فقال تعالى : ﴿ يا أيها النبيُّ إنّا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ﴾(١) والشاهد لابد أن يكون حاضراً للمشهود عليه ، وناظراً للمشهود إليه .

فعلم أنه ملء كلّ عالم ، وحاضرٌ في كل مكان .

فإن قيل : قد قال الله تعالى ﴿ فكيف إذا جئنا من كلّ أمةٍ بشهيدٍ ﴾(٢) وقال تعالى ﴿ وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون

(١) الأحزاب ، الآية : ٤٥ .

(٢) النساء ، الآية : ٤١ .

الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾(١) الآية . فقد سوّى بين النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وبين الأمة في معنى الشهادة ، وسوّى بينه وبين الأنبياء في ذلك المعنى أيضاً .

فالجواب ـ إن شاء الله تعالى ـ أنه لا تسوية ، لأنه في الآية الأولى قال ﴿ وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴾ وقال في الآية الثانية ﴿ ويكونَ الرسولُ عليكُم شهيداً ﴾ .

وورد أن هذه الأمة تشهد على جميع الأمم ، وتشهد لأنبيائها في التبليغ ، ونبيها يزكيها ، فلا مساواة به ، ولا أحد في درجته .

وأما شهادة الأنبياء ، فلا إشكال فيها ، لأنهم موجودون بالأجسام في قيد الحياة بين أظهر أممهم ،

(١) البقرة ، الآية : ١٤٣ .

لأنهم شاهدون وحاضرون حسا ومعنى .

وأما شهادة هذه الأمة ، فإنما هي من باب الشهادة على الشاهد ، لأنها إنما تلقت ذلك من القرآن العظيم الصادق الوارد على لسان النبيّ المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم .

فتحصل بهذا ، وبأنه لما كان كل رسول إذا مات انتهت شريعته وأرسل رسول غيره ، ولم يكن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم كذلك ، بل شريعته مستمرة ودعوته قائمة باقية إلى يوم القيامة ومعها وبعدها ، إذ لانبي بعده ، أن شهادته صلى الله عليه وآله وسلم مستمرة بموجب حضوره في جميع العوالم ، وامتلاء الكون والمكان والزمان به ، فكان مثاله في هذا المعنى كما أسلفنا ، وكما أشرنا كبدر في سماء علو الفضل ، ونحن كمشاة تحته سائرون في ضوء نوره ، حتى رفعنا

رءوسنا إليه ، ونحن في شدة العدْو ، أو المشي ، والتأني ، أو جلسنا ، أو نمنا ، أو استيقظنا : نراه معنا فوق رءوسنا ، ولو مشينا إلى أقصى المشرق ومشى آخرون إلى أقصى المغرب ، وركب آخرون السفن في لجج البحار ، وصعد آخرون الجبل ، وسلك آخرون القفار ، كل ذلك ، ونبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم حاضر معهم ، كحضور البدر مع هؤلاء كلهم .

وأيضا فمن الناس المقربين من اجتماعه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بمصر مثلا أقوى من اجتماع بعض الحجاج به عند محل قبره ، إذ من الناس من حضورهم كالغيبة ، ومن الناس من غيبتهم أحضر من الحضور ، ألا ترى إلى البحر الطامي أبي يزيد البسطامي لما حج ثلاث مرات لم يصر لمزيد القرب أهلا ، حتى غاب في المرة الثانية وفني أصلا ، ولهذا قال رضي الله

تعالى عنه :

« حججت ثلاث مرات ، ففي المرة الأولى » رأيت البيت ولم أر رب البيت ، وفي المرة الثانية » رأيت رب البيت ، ولم أر البيت ، وفي المرة الثالثة » لم أر البيت ولم أر رب البيت » انتهى

قلت : فكان الحاصل من مقاله ومن اعتبار حاله : أن حجته الأولى من حج العوام في سائر الأعوام

وأن الثانية كانت بدايات مقامات الفناء ، ففنى عن رؤية كل محسوس ، فلم ير أحداً أحق بالوجود من الله تعالى ، وهذا معنى قوله « رأيت رب البيت » وإلا فرب البيت لا يجوز أن يرى في الدنيا ، وكانت نفسه في هذه الحجة موجودة معه ، يرى بها ويبصر بها .

فلما حج الثالثة فنى حتى عن نفسه ، فلم يبق معه مرآة يرى بها شيئا ، ففنى في معنى قرب الحق تبارك

وتعالى فناء كليا ، أشار إليه بقوله :

فيفنى ، ثم يفنى ، ثم يفنى

فكان فناؤه عين البقاء

ففي مثل هذه الغيبة يحصل الحضور بأوفى من كيل الويبة(١) .

وقال سهل بن عبد الله التستري

« يا مسكين كان ولم تكن ، ويكون ولا تكون ، فلما كنت الآن صرت تقول أنا ، كن الآن كما لم تكن ، فإنه الأول كما كان » .

ومن الأدلة على أن الأنبياء يحضرون في الكون ما رويناه في كتاب « الإعلام بحكم عيسى عليه الصلاة والسلام » للجلال السيوطي أن النبي صلى الله عليه وآله

(١) الويبة : كيلتان ، والإردب ست ويبات .

وسلم كان يطوف بالبيت حينا ، فسلم على شيء في الهواء ، فسئل عن ذلك فقال : « رأيت أخي عيسى ابن مريم يطوف بالبيت فسلم عليَّ وسلمت عليه » ، فاستقر الحال على أن عيسى ﷺ - كما قال الحافظ الذهبي وغيره - نبي ورسول وصحابي ، وأنه أفضل الصحابة ، ويليه في الفضل أبو بكر الصديق ، فعمر ، فعثمان ، فعلي رضي الله عنهم ، على الترتيب المشهور ، وأن الأنبياء والمرسلين يسيرون في الكون لنفعهم ونفع العباد ، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ملأ العوالم العلوية والسفلية .

واعلم أيها المريد المسترشد : أن قول الحافظ جلال الدين السيوطي - سقى الله عهده صيب الرحمة والرضوان ، وجمعني وإياه على سيد ولد عدنان - كما أسلفناه آنفا - « أن النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم يسير

في الكون » إلى آخره ، يدل بحروفه ومنطوقه ومفهومه على أن النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم ملأ الكون ، لأنه لو لم يكن الأمر كذلك لزم منه أنه متى سار يصير قبره خاليا منه ، ويكون الزائر إنما يزور الضريح فقط ، وهذا لا يقوله أحد .

وأيضا فإن قوله صلى الله عليه وآله وسلم :

« من رآني في المنام فسيراني في اليقظة »(١).

من أصرح صريح وأدل دليل وأقوى برهان ، وأثبت حجة على ذلك ، لأنه [لا يخلو الوجود من](٢) راءٍ له في المشرقين والمغربين ، لأنه - كما قدمنا - لا يصح أن يصير

---

(١) رواه البيهقي ، وأبو داود .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة لا يتم المعنى إلا بها ، ويقتضيها السياق ، والذي في المطبوعة : لأنه شامل لكل من رآه في المشرقين والمغربين ، الخ

باقتصاره على رؤيته في الآخرة ، لأن سائر الأمم تراه يومئذ ، سواء في ذلك من رآه في الدنيا ومن لم يره ، وبالجملة والتفصيل : فهو صلى الله عليه وآله وسلم موجود بين أظهرنا : حساً ، ومعنى ، وجسماً ، وروحاً ، وسراً ، وبرهاناً .

فإن قال قائل : معنى قول الجلال السيوطي : إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسير في الكون : أنه يتجرد من شبحه ـ كما أقدتم وأفهتم ـ والجسم الشريف مقيم في القبر المنور ؟؟ .

قلنا : الجواب ـ إن شاء الله تعالى ـ أن هذا المعنى ـ وإن كان صحيحاً في حد ذاته ـ كما أفدناه آنفاً ـ لكن قد لا ينهض لأن يفسر به كلام الجلال السيوطي ، لأنه رحمة الله تعالى عليه إنما مقصوده في الحقيقة تمييز نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن سائر

الأنبياء والمرسلين في ذلك المعنى بخصوصه ، ولا يتم له مقصوده في ذلك المعنى إلا بالتفسير الذي فسرناه ، وهو الحق ـ إن شاء الله تعالى ـ وإلا فجميع الأنبياء مشاركون له في الشكل ، والمثال ، والتطور ، وتعدد الأشباح ، بل الأبدال ـ كما قدمنا ـ يفعلون في حياتهم ذلك وفي موتهم بل وخاصة المؤمنين ، بل وعامتهم الذين لم يشغلهم عن ذلك شاغل من موبقات الذنوب وعظائم الكروب ومدلهمات الخطوب .

ألا ترى إلى ما نقله ابن القيم وغيره من أن صالحاً المري (١) وغيره تخلف عن حضور الجمعة ، فلما جاء مستعتركا (٢) رأى بعض الأرواح قد تشكلت وجلست

(١) هو من شيوخ عبد الله بن المبارك رحمهما الله تعالى .
(٢) بالمخطوط : فلما جاء القيم ، والتصحيح من المطبوعة .

علي ظاهر قبورها ، وأنهم قالوا له أبطأت عن الجمعة ، فقال لهم : أتعرفون الجمعة .

قالوا : نعم ، ونعرف ما يقول الطير في جو السماء

قال : فما يقول ؟؟.

قالوا : « يقول : سلام ، يوم صالح ».

وفي هذا الباب من هذا القبيل ما لا يكاد ينحصر ، بحيث قالوا : إن الأموات قد يعلمون بالشيء قبل حدوثه في عالم الملك ، وقبل اتصاله بالأحياء .

ونقلوا أن المتوكل علي الله - الخليفة العباسي - [عامله الله بعدله ، حيث كان يبغض الإمام الأكبر علي ابن أبي طالب رضي الله تعالي عنه وكرم الله وجهه ، ويكره أولاده[١]] - لما قتله مماليكه وهو جالس علي

(١) ما بين المعقوفين ليس في المطبوعة .

السرداب[١] بسبب موالسة[٢] ولده عليه ، رآه الولد في النوم ، فقال له « أقتلتني لأجل الخلافة ، والله لا تقيم فيها ، ولا تبقي فيها ، وستجزي في الآخرة ».

فقام مرعوبا من نومه ، وأخبر بما رأى ، فلم يمكث إلا مدة يسيرة جدا ، ولحق بمهملات أبيه . إلي غير ذلك .

ومما حكي - أيضا - في هذا المعني ، [ما] في كتاب الروح[٣] منه الشيء الكثير عن الجم الغفير ، والجمهور الكثير .

فتلخص : أن معني كلام الحافظ السيوطي إنما أراد منه كون النبي صلى الله عليه وآله وسلم ملأ العوالم العلوية والسفلية بأهبة وقابلية وأهلية جعلها الله تعالي

(١) مكان التبرز .
(٢) الموالسة : المشاركة في الخيانة والخديعة.
(٣) لابن القيم رحمه الله تعالي .

له، وأسكنها عز وجل في جسمه الشريف، (وجعل له) معنى من معاني الملائكة صلاة الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، فكان يخالط الملك، كجبريل، وإسرافيل؛ اللذين هما من رؤساء الملائكة، لأن إسرافيل تردد لخدمته ثلاث سنين قبل سيدنا جبريل وغيره كما حكاه الحافظ ابن حجر في مقدمة « فتح الباري » وغيره.

ولقد ظهر معنى كلام الحافظ السيوطي ظهوراً كافيا شافيا.

والله تبارك وتعالى أعلم بالصواب.

جمعنا الله تعالى والمسلمين، ومن شاء من الموحدين على النبيّ الحبيب، الخليل، الجليل، المصطفى، نبيّ الرحمة والشفاعة، أفضل من سعى بين الصفا والمروة، وبوأنا بجواره في الجنان غرفا، وحشرنا مع آله وأصحابه السادة الخلفاء الحنفاء، خصوصا الإمامين القمرين،

والأئمة الأربعة: أبا بكر وعمر، وعثمان وعليا رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

والحمد لله رب العالمين آمين

تمت على يد كاتبه الحقير الفقير

حسين بن محمد الشافعي

غفر الله له، ولمن قرأ فيه، ولمن تسبب في كتابته، وفي طاعته، آمين

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين

والحمد لله رب العالمين

تم هذا الكتاب بفضل الله تعالى
وصلى الله تبارك وتعالى على سيدنا محمد وآله
والحمد لله رب العالمين